من وراء ذلك هو اجتذاب الانتباه الى الطريقة التي ما فتئ خبراء الشرق الأوسط يسلكونها إذ يمكنهم أن يستمدوا مادة لهم من بقايا المركز الفكري للاستشراق في أوروبا القرن التاسع عشر .

ليس هناك من شيء تحف به الأسرار أو طبيعي بشأن السلطة ، إنها تتشكل وتفيض وتنتشر . وهي نرائعية ومقنعة . السلطة لها مكانة ، وهي ترسي قوانين الذوق والقيم . إنها غير قابلة للتمييز فعلياً عن بعض الأفكار التي تجلها على أنها أفكار صحيحة ، وعن التقاليد والادراكات والأحكام التي تشكلها وتنقلها وتولدها . فالسلطة يمكن تحليلها ، قبل كل شيء ، ويجب تحليلها حقاً . إن جميع هذه الصفات التي توصف بها السلطة تنطبق على الاستشراق ، والكثير مما أقوم به في هذه الدراسة هو وصف أمرين : السلطة التاريخية ضمن الاستشراق والسلطات الشخصية التي امتلكها هذا الاستشراق .

إن أدواتي المنهجية الرئيسية في دراسة السلطة هنا هي ما يمكن تسميته بـ « **الموقع الاستراتيجي** » ، وقوامه طريقة في وصف مركز المؤلف ضمن نص بالنسبة للمادة الشرقية التي يكتب عنها ، **والتشكيل الاستراتيجي** ، وهو طريقة في تحليل العلاقة بين النصوص وكيف ان مجموعة من النصوص وانواعاً من النصوص ، وحتى أجناساً من النصوص تكتسب كتلة وكثافة وقوة مرجعية فيما بينها وبالتالي في الثقافة بصورة عامة . إنني استخدم مفهوم الاستراتيجية لمجرد تعريف المشكلة التي واجهها كل كاتب عن الشرق : كيف يتم الامساك بها ، ومقاربتها ، وكيف الحؤول دون الانهزام أو الانسحاق أمام سموها ونطاقها وأبعادها المخيفة ، إن كل شخص يكتب عن الشرق يجب عليه تجديد موقعه ازاء الشرق . فلو قمنا بترجمة هذا الموقع إلى النص المستخدم ، لوجدنا أنه يشمل نوعية الصوت الروائي السردي الذي يتبناه الكاتب ، ونوع البناء الذي يشيد صرحه ، وانواع الصور والموضوعات والأفكار الرئيسية التي يدور عليها نصه ــ وكل هذه تضاف الى الاساليب المعتمدة في مخاطبة القارى ، واحتواء الشرق ، وأخيراً تمثيل هذا الشرق أو التحدث بالأصالة عنه . إنما لا شيء من هذه الأمور يحدث على صعيد التجريد . فكل كاتب عن الشرق (وهذا يصدق حتى على هوميروس) يتخذ لنفسه سابقة شرقية ، ويفترض شيئاً من المعرفة المسبقة بالشرق ، حيث يرجع إلى ذلك ويعتمد عليه . أضف إلى ما تقدم ، أن كل دراسة عن الشرق تقيم روابط النسب بينها وبين دراسات اخرى ، ومع جماهير ومؤسسات ، ومع الشرق ذاته ، لذا فان مجموع العلاقات بين الأعمال والجماهير وبعض النواحي الخاصة عن الشرق تؤلف تشكيلا قابلا للتحليل ــ وعلى سبيل المثال نذكر : الدراسات الفيلولوجية والمختارات المقتطفة من الأدب الشرقي ، وكتب الرحلات ، والخيالات الشرقية ــ حيث يضفي عليها حضورها في الزمن وفي المقالة وفي المؤسسات (المدارس ، المكتبات والسلك الخارجي) قوة وسلطاناً .

من الواضح ، على ما أمل ، ان اهتمامي بالسلطة لا يستلزم تحليلا لما يقبع مختبئاً في النص الاستشراقي ، بل تحليلا بالأحرى لظاهر النص ، ولخارجيته بالنسبة لما يصفه . ولا أعتقد أنه يمكن الامعان في التشديد على هذه الفكرة . فالاستشراق يفترض الخارجانية كمقدمة منطقية ، أي انه يقوم على الحقيقة القائلة بان المستشرق ، شاعراً كان أم باحثاً علامة ، يجعل الشرق يتحدث ، ويصف الشرق ، ويفك رموز أسراره الخفية مبسطاً إياها أمام الغرب ولأجله .